موسى كاظم الحسيني زملاءه الذين أيدوا قرارات المؤتمر السوري ـ الفلسطيني المطالبة بالغاء الانتداب، والعام ١٩٣٠ حين راح، هو نفسه، يكرر، بنفسه، اعلان رفضه الانتداب ويصفه بالمقوت. الاّ ان اشتداد لهجة القيادة الوطنية ضد الانتداب، فضلاً عن لهجتها الشديدة في الاساس ضد وعد بلفور، لا يعني أن أملها باقناع بريطانيا بالتخلي عن هذا الوعد قد انطوى نهائياً. والاهم من ذلك، ان خيبات الامل المتلاحقة لم تحمل قيادة الحركة الوطنية على تجاوز الاساليب القانونية. وقد كان التمسك بالاساليب القانونية مؤشراً واضحاً الى أن القيادة الفلسطينية لم تصنف بريطانيا كعدو يحتل بلادها احتلالاً، بل اكتفت باعتبار الصهيونية هي العدو. وكما قال شاهد عيان من القادة الفلسطينيين الذين عايشوا تلك المرحلة: «اجمعت البلاد على رفض الانتداب والصهيونية، وقاومتهما. ولكن حدث ان اعترت الحركة الوطنية فكرة تركيز المقاومة على الصهيونية... وتذرع اربابها بكون الصهيونية هي الخطر الداهم. وكان من شأن هذا التركيز أن يجعل الانجليز في مأمن من توجيه المقاومة الفعلية ضدهم، بالذات؛ وكان من شأنه، [أيضاً]، أن يؤدي الى اعتبار الانجليز حكماً يحتكم اليه في شكوى افاعيل اليهود، وقضاة يترافع الخصمان اليهم، مع انهم أصل الشر وحماته»[١٢١].

ويمكن ان نضيف الى هذا الوصف الدقيق لوضع قيادة الحركة الوطنية أن موقفها هذا كان وليد رغبة الفئات التي تمثلها في التعاون مع بريطانيا وفي عدم ايصال الخلاف معها، بشأن الصهيونية، الى حد العداء معها، مثلما كان، في الوقت عينه، وليد تهيّبها من الدخول في مجابهات عنيفة معها. وقد بقي لهذين العاملين، الرغبة في التعاون والتهيب من المجابهة، تأثيرهما على مدى السنين، ولم يلغه توالي البراهين على عدم جدوى محاولات الاقناع وعلى قلة جدوى اتباع الاساليب القانونية في المطالبة بالحقوق. وهذه السياسة التي جرى بموجبها التعامل مع بريطانيا «طالما حالت... دون اقتطاف ثمرات مقاومتنا الصهيونية مهما تكن شرسة وحافلة بأروع البطولات»، كما لاحظ ذلك القائد شاهد العيان الذي اقتبسنا اقواله قبل قليل[١٢٢].

الدعوة الى تركيز العداء ضد بريطانيا؛ موقف صريح ضد الانتداب

لا شك في أن نهج قيادة الحركة الوطنية في تركيز العداء ضد الصهيونية، وحدها، وتوجيه المقاومة نحوها، قد أثر في الجمهور العربي الفلسطيني، بمقدار أو بآخر، في السنوات الاولى من عمر الانتداب البريطاني على فلسطين. غير ان ظواهر الواقع الملموسة وما كان يراه الجمهور من انحياز بريطانيا الى الصهيونية، دون وجه حق، والاجراءات الموجهة ضد مصلحة الجمهور الفلسطيني، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبوليسية التي قامت بها سلطات الانتداب، دفعت الجمهور، دفعاً، للتعامل مع بريطانيا هي الاخرى، كعدو، حتى مع استمرار الحركة الوطنية في النهج الذي يركز العداء على الصهيونية، وحدها. ثم ما لبث «أن تنبه بعض الشباب الى خطل هذا الاسلوب، فكتبوا وخطبوا وأطلقوا على انفسهم اسم حملة الفكرة الاستقلالية؛ ذلك أن المطالبة بالاستقلال تعني أن بريطانيا المنتدبة هي العدو الاول»[١٢٣]. وبين هذه النخبة متقدمة الوعي وجد عدد من قادة الصف الاول والصفوف الاخرى التالية في الحركة الوطنية، «ولكن هؤلاء لم ينتظموا في حزب أو منظمة، وان انبثوا في جميعات واندية وصحف، وكانوا عنصراً فعالاً يقحم فكرة رفض الانتداب ومقارعة الانجليز والمطالبة بالاستقلال في معظم المؤتمرات الوطنية»[١٢٤].

لا شك، اذاً، في ان تبلور الدعوة الى رفض الانتداب، رفضاً صريحاً، لا يقصر مضاره على جانبه الصهيوني، وحده، ومثابراً، لا يراوح بين المقاومة والمساومة، قد اقترن، في فلسطين، بتبلور